

دلائل الإعجاز

المولّدين ولا يشبه ذاك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة . قال : فقام خلف
فقبّل بشّاراً بيّناً عينيه . فهل كان هذا القول من خلفٍ والنقد على بشارٍ إلا
للطف المعنى في ذلك وخفائه .

والمعنى أن من شأن " إن " : إذا جاءت على هذا الوجه أن تُعني غناء
الفاء العاطفة مثلاً وأن تُفيد من ربط الجملة بما قبلها أمراً عجيباً . فأنت
تري الكلام بها مستأنفاً غير مستأنفٍ مقطوعاً موصولاً معاً . أفلا ترى أنك لو أسقطت
" إن " من قوله : إن ذاك النجاح في التبكير لم تَرَ الكلام يلتئم ولرايت
الجملة الثانية لا تتصل بالأولى ولا تكون منها بسبيل حتى تجيء بالفاء فتقول :
بكّرا صاحبي قبل الهجير فذاك النجاح في التبكير ومثله قول بعض العرب -
الرجز - :

(فغذّها وهي لك الفداء ... إن غناء الإبل الحداء) .

فانظر إلى قوله : إن غناء الإبل الحداء وإلى ملاءمته الكلام قبله
وحسن تشبّثه به وإلى حُسن تعطّف الكلام الأول عليه . ثم انظر إذا تركت
" إن " فقلت : فغذّها وهي لك الفداء غناء الإبل الحداء كيف تكون الصورة
وكيف يندبو أحد الكلامين عن الآخر وكيف يُشتم هذا ويُعزّق ذاك حتى لا تجد
حيلة في ائتلافهما حتى تجتلب لهما الفاء فتقول : فغذّها وهي لك الفداء فغناء
الإبل الحداء ثم تعلام أن ليست الألفة بينهما من جنس ما كان وأن قد ذهبت
الآنسة التي كنت تجد والحسن الذي كنت ترى . ورؤي عن عنبسة أنه قال : قدّم
ذو الرّمّة الكوفة فوق ينشد الناس الكُناسة قصيدته الحائية التي منها -
الطويل - :